



التداولية في فكر محمد بن علي الصبان (١٢٠٦ هـ) في حاشيته على شرح الأشموني

قصي ثعبان يوسف

الملخص:

هدفت الدراسة إلى بيان أطر الفكر التداولي عند الصبان، عن طريق الكشف عن اهتمامه بالسياق المقامي، والمتكلم وما يقصده، وعلاقته بالمخاطب، ومبدأ التعاون بينهما، وعملية التواصل بين محاور العملية التواصلية، والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة (التضمنية)، وقد اعتمدت الدراسة الموسومة بـ(التداولية في فكر محمد بن علي الصبان (١٢٠٦ هـ) في حاشيته على شرح الأشموني) على المنهج الوصفي التحليلي، وتكلفت الدراسة بنتائج، منها: تركيز الصبان على أهمية السياق الخارجي في عملية التواصل، وكون المخاطب والمتكلم يمثلان طرفي عملية التواصل، وأن التعاون بينهما يؤدي إلى نجاحها، وأن وضوح القصد من لدن المتكلم يؤدي إلى تواصل ناجح مع المخاطب، وأن الإشارات لها دور كبير في وضوح المعنى كضمير الشأن الذي يحيل على الوجود الخارجي، وأثر الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة (الضمنية) في العملية التواصلية ووضوح المعنى، وهذا ما جاءت به التداولية الحديثة اللسانية في أغلب جوانبها، وانتهت الدراسة بعد المقدمة، وعرض البحث، بالخاتمة ونتائج البحث، والهوامش، والمصادر والمراجع.

الكلمات الرئيسية: السياق، المتكلم والمخاطب، القصدية، الإشارات، الأفعال الكلامية،

والسياق الاجتماعي، والنفسي للمتكلمين والمخاطبين ما هو إلا دليل على وعي للمفهوم التداولي للغة الذي نادت به التداولية الحديثة، بعد أن أصبحت اتجاهًا تحليليًا للغة في أغلب جوانبها، فالتداولية الحديثة تعني: ((دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي))^(١)، أو هي: ((دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها الخاصة))^(٢). بناءً على ما جاء في تعريف التداولية المذكور آنفًا نجد أن الصبان في حاشيته على الأشموني قد استحضر في فكره عن طريق ما ذكره الكثير من مرتكزات التداولية، من سياق، ومتكلم ومخاطب، والتعاون الذي بينهما في الحذف خاصة، ومراعاة المتكلم للمخاطب، والإشارات الخارجية، والأفعال والأقوال المضمرة

١. المقدمة

تعدُّ التداولية اتجاهًا لغويًا حديثًا تهتمُّ باللغة في مجال التواصل؛ لأن اللغة حلقة مهمة بين المتكلم والمخاطب في التفاهم المقصود، وما يحيط بها من سياقات نفسية، واجتماعية، وثقافية ترتكز عليها في دعم الشكل اللغوي في بيان المعاني.

التفت العلماء القدامى اللغويون إلى مهمة اللغة التداولية قبل أن تكون التداولية الحديثة اتجاهًا لغويًا يعنى بتحليل مستويات وعلاقات ظواهر اللغة^(٣)، فتأكد لهم على دور المتكلم على دور المتكلم وحالاته ومقاصده في إيصال المعنى إلى المخاطب ومراعاة عدم اللبس، والاهتمام بعلاقة السياق الخارجي (المقام) في كشف المعنى، والخبر والإنشاء، والكناية والاستعارة، والمعنى ومعنى المعنى في إرادة المتكلم،

في الاستفهام وغيرها من الأساليب التي تمثل ملامح الفكر التداولي الحديث.

وليس الغاية من هذه الدراسة إسقاط النظرية الغربية التداولية اللغوية في الفكر اللغوي عند العرب، وإنما هو مقارنة وكشف للنمطية التداولية عند العلماء العرب في التراث الموروث، والاستحضار الفكري التداولي للغة عندهم في أغلب جوانب التداولية الحديثة ومفاهيمها.

يعد الاتجاه التداولي اتجاهاً مهماً في كشف غايات التواصل بين المتكلم والمخاطب، وبالتالي كشف المعاني المقصودة بشكل دقيق لا لبس فيه؛ مما دفعني إلى جعله محوراً في دراسة الفكر التداولي عند الصبان في حاشيته.

١- السياق: يمثل السياق مرتكزاً وعنصرًا مهما في الدراسات العربية القديمة(١)، وكذا في الدراسات اللسانية الحديثة (التداولية)(٢)، مما يعطي أهمية كبيرة للسياق في الكشف عن المعاني المقصودة.

جاء اهتمام محمد بن علي الصبان في حاشيته بالسياق (المقام) أي اهتمام؛ لبيان المعاني المقصودة للتراكيب، فقد ذكر أن تحديد نوع الحرف المحذوف من الآية في قوله تعالى: ((وَتَرَعُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ)) (٣)، مرهونٌ بالسياق الخارجي (سياق الحال)، وأن قرينة سبب النزول تدل على الحرف المحذوف هل هو (في) أو (عن)(٤)، وأشار في موضع آخر إلى أهمية السياق الاجتماعي في الاستعمال اللغوي، بقوله: "ولا يبدل مضمراً من مضمراً أي مطلقاً أنه لم يسمع... (٥)، أي لم يسمع عن العرب، وهذا في السياق الاجتماعي.

اهتم النحاة القدماء بالسياق، فجاء في كتاب سيبويه قوله: ((وذلك قولك إذا رأيت متوجهاً وجهة الحاج، قاصداً في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث ذكرت أنه يريد مكة، كأنك قلت يريد مكة والله" (٦). إذ حذف الفعل بدلالة السياق الخارجي، مما يؤكد أهمية السياق في بيان المحذوف من التركيب.

وأشار المبرد إلى أن الحذف يتم بوجود سياق خارجي، بقوله: "ولا يجوز الحذف حتى يكون المحذوف معلوماً بما يدل عليه من متقدم خبر أو مشاهدة حال" (٧).

فقد وضح المبرد في النص المذكور آنفاً أن الحذف يكون بوجود سياق خارجي يدل عليه.

وبين السيرافي أهمية السياق في بيان المحذوف من التركيب، وبالتالي بيان المعنى، فإذا قلت (مكة ورب الكعبة)، وأنت ترى رجلاً متوجهاً إلى الحج بهيئة الحج، فإنك تقصد (يريد مكة ورب الكعبة حاجاً)،

فالسباق الخارجي يوضح المحذوف (الفعل)، ويفسر المعنى المقصود(٨).

وذكر الرماني في شرحه للكتاب في باب الحذف للفعل في غير الأمر والنهي، بقوله: ((الذي يجوز فيه إضمار الفعل في غير الأمر والنهي هو الذي عليه دليل يقوم مقام اللفظ بالفعل في غير الأمر والنهي... وإنما يجوز في غيره إذا كانت الحال المشاهدة تقتضي الفعل،... ذلك كقولك: (مكة والله) بمعنى: يريد مكة، ودليله هيئة الحاج،... (٩).

أما التداولية في اللسانيات الحديثة فقد اهتمت اهتماماً كبيراً بالسياق، بل تعتبر السياق ركناً أساسياً في كشف المعنى المقصود عن طريق تعريف التداولية واهتمامها بالسياق الخارجي والمقامي، ف(التداولية هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلازم بين التعابير الرمزية والسيقات المرجعية والمقامية والحديثية والبشرية)) (١٠).

وبين جواد ختام في نقده للنظرية البنيوية لدى سويسير أن التداولية لم تكتف بالمستوى الخطي الذي نادت به البنيوية، بل ذهبت إلى أن الكلام ليس ممارسة للغة تطبيقاً، بل إن المستوى اللغوي يعتمد على السياق، وإن فهم المعنى يعتمد إلى جانب فهم البنية التركيبية والصوتية للكلمات المنطوقة فهم المؤثرات الخارجية المحيطة بالملفوظات والداخلة في العملية التواصلية، من متكلم وقصديته، والزمان والمكان الذي قيل فيه الكلام، والاقتضاء، والتضمن، وغيرها من العوامل الخارجية لفهم المعنى(١١).

ذهب محمود أحمد نحلة في توضيح اتجاهات مستوى المعنى إلى ثلاثة مستويات:

الأول: المعنى اللغوي، وهو ما يضمه التركيب الحرفي للجمل والكلمات، والثاني: معنى الكلام السياقي، والثالث: المعنى المستتر (الموجود بالقوة) أي: المعنى الذي يقصده المتكلم، فإذا قال قائل: أهذه سيارتك؟، فحصر التركيب يقتضي في سياقه وجود سيارة مشار إليها، والضمير (الكاف) في التركيب يعني أنك تمتلك للسيارة، فالمستوى الأول للكلام يعني ملكك للسيارة بالإشارة إليك، وأن السؤال يُراد منه الجواب بنعم أو لا، أو أن القصد يخرج إلى معنى آخر (مجازي) كالتعبير عن اللوم؛ لأن سيارتك كانت مانعاً أمام مرور السيارات الأخرى في الطريق؟ وهذا مقصود المتكلم الحقيقي والمراد للمعنى، فالتداولية للخطاب تبحث في مكنونها عن قصد المتكلم ونواياه، والسامع (المتلقي)، والسيقات الأخرى المحيطة (مادي، واجتماعي، ولغوي) وكل ما يفسر المعنى المقصود(١٢).

وجاء في كتاب (في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء) التأكيد على ما قامت عليه التداولية من علاقات المتكلم

بالمخاطب، والأثر الاجتماعي، ووسائل التعبير عن مقاصد المتكلم، وما يعتقده، ورغبته، وأهمية السياق (المقام) من ظروف محيطية بالمتكلم من حال، وزمان، ومكان، وأثر ذلك مجتمعاً في بيان المعنى المقصود^١).

يتبين مما تقدم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره النحوي أهمية السياق الخارجي في بيان المعنى المقصود لدى المتكلم، وبيان معنى التراكيب النحوية، وجاء هذا بما نادى واعتمدت عليه التداولية الحديثة في بيان المعنى المقصود باعتمادها على أهمية السياق الخارجي ودوره في وضوح المعنى الحقيقي والمراد من لدن المتكلم.

٢- المتكلم والمخاطب:

استحضر علماء النحو القدماء أهمية المتكلم والمخاطب في بيان المعنى للتراكيب النحوية في مؤلفاتهم، وكذا اهتمت التداولية على وجه الخصوص في اللسانيات الحديثة بهما؛ لأنهما يمثلان حلقة التواصل الخطابية.

بين الصبان أهمية مراعاة المتكلم للمخاطب في تأخير الخبر، بقوله: ((والذي يؤخر ويجعل خبراً هو ما يجهل المخاطب اتصاف الذات به فإذا عرف المخاطب زيداً بعينه واسمه وجهل اتصافه بأنه أخوك قلت زيداً أخي، وإذا عرف أن لك أختاً وجهل عينه واسمه قلت أخي زيداً))^١.

ذكر سيبويه أهمية علم المخاطب بالحذف في باب المستثنى، بقوله: ((وذلك قولك: ((ليس غيرٌ، و)) ليس (إلا)، كأنه قال: ليس إلا ذلك وليس غير ذلك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطب ما يعني))^١.

وبين المبرّد أهمية مراعاة علم المخاطب من لدن المتكلم في الحذف بقوله: ((وقال قوم الخبر محذوف؛ لعلم المخاطب، كقول القائل عند تشديد الأمر: إذا جاء زيدٌ، أي إذا جاء زيدٌ علمت؛ وكقوله: إن عشت، ويكُل ما بعد هذا إلى ما يعلمه المخاطب. كقول القائل: لو رأيت فلاناً وفي يده سيفٌ))^١.

وجاء في حواشي كتاب سيبويه مراعاة علم المخاطب بالمحذوف، قوله: ((قال سيبويه قوله ... بعد اللتيا واللتيا واللتيا))^١.

... حذف الصلة من (اللتيا) وما بعده لعلم المخاطب بما يعني؛ لأنه قصد تعظيم الشيء، أي بعد (اللتيا عظمت))^١.

وأشار الرماني في شرحه إلى مراعاة علم المخاطب بالحذف، بقوله: ((وتقول: (ما أتاني القومٌ ليس زيداً)، ... وهو يشبه الجواب من جهة أن

المخاطب بمنزلة من قال (بعضهم زيدٌ)؛ لوقوع ذلك في نفسه، فكأن المتكلم قال: (ليس بعضهم زيداً))^١. أما في اللسانيات الحديثة (التداولية) فقد اهتمت بالمتكلم والمخاطب في عملية التواصل، وجعلت التعاون بينهما عنصراً مهماً في وضوح المعنى المقصود.

أكد غرايس أوستن على مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب، عن طريق القواعد الضمنية التي تمثل حلقة التواصل بينهما، وانعدام هذه القواعد يحول دون تحقق التواصل، ومبدأ التعاون يضم (الكم، والكيف، والإفادة، والجهة)^١.

وذهب جواد ختام إلى العلاقة المهمة بين المتكلم والمخاطب من حيث التأثير والتأثير في العملية التواصلية، رابطاً الأمر بالاستجابة من عدمه بالمخاطب، وقدرة المتكلم على إيصال ما يريد إليه^١.

يتضح مما تقدم ذكره أن المتكلم والمخاطب كانا حاضرين في ذهن الصبان من حيث الأهمية في عملية التواصل، وأن بيان المعنى يعتمد بشكل كبير على التعاون بين المتكلم والمخاطب، وهذا ما جاءت به الدراسات التداولية، بل جعلت المتكلم والمخاطب وخرق مبدأ التعاون من أساسياتها.

القصدية:

تمثل القصدية لدى المتكلم من الأمور المهمة في عملية التواصل مع المخاطب، وقد اهتمت الدراسات القديمة في التراث العربي بمراد المتكلم؛ لبيان المعنى ووضوحه، وكذا اهتمت اللسانيات الحديثة (التداولية) بقصد المتكلم الذي يريد إيصاله للمخاطب.

جاء في حاشية الصبان التأكيد على أهمية القصدية في بيان المعنى، بقوله: ((قوله: (فإنه يتعين رفعه) أي عند عدم قصد المتكلم جعله حالاً من ضمير معمول المصدر المستتر في الخبر فإن قصد ذلك وجب النصب وذكر الخبر بأن يقال ضربي زيداً إذ كان شديداً أو ضربه شديداً، ... (فلا يجوز ضربي زيداً شديداً) بل يجب الرفع عند قصد الخبرية والنصب وذكر الخبر عند قصد الحالية ...))^١.

بين سيبويه أهمية إرادة المتكلم في بيان المحذوف وأثره في المعنى، بقوله: ((ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده: ((وأسألُ القريةَ التي كُنَّا فيها والغيرَ التي أقبَلْنَا فيها))^١.

إنما يريد: أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا))^١.

يتضح من النص المذكور أنفاً أن فهم المخاطب لمراد المتكلم له أهمية في التواصل وبيان المعنى المقصود.

وجاء في المقتضب في بيان المحذوف وتقديره مرهون بفهم إرادة المتكلم، بقوله: ((وقد يحذف الفعل ... وذلك قولك: رأسك والحائط، ورأسه والسيف يا فتى ... ودلّ على المحذوف بما يشاهد من الحال. ومن أمثال العرب ... ((أهلك والليل، وقد دلّ هذا على أنه يريد: (بدر أهلك والليل))^(٢٠).

بيّن المبرد في النص المذكور أنّاً أن للسياق أهمية في بيان قصدية المتكلم، وعليه فسّر المحذوف.

وذكر ابن جني أهمية إرادة المتكلم وقصده في الكلام، بقوله: "وقد حذف المميّز، وذلك إذا علم من الحال (حكم ما) كان يعلم منها به، وذلك قوله: عندي عشرون، واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين، فإن لم يعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة، فإن لم يرد ذلك وأراد الإلغاز وحذف جانب البيان لم يوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم، وعليه مدار الكلام فاعرفه"^(٢١).

أما التداولية فقد اهتمت اهتماماً كبيراً بقصدية المتكلم، وبيّنه ان عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب تقوم على جزء كبير في فهم قصد وإرادة المتكلم من لدن المخاطب.

فأكد أوستن على محورانية القصدية الخاصة بالمتكلم في عملية التواصل مع المتلقي، وبيان المعنى المقصود من لدنه، وأن القصدية تتضح عن طريق السياقات الكلامية، وغير الكلامية^(٢٢).

وبيّن محمود أحمد نحلة أن المتكلم إذا أطلق الكلام نحو المتلقي فهو يقصده، وهذا القصد ثابت عنده، تجليه السياقات التي تحيط بالكلام، مما يعين المتلقي على فهم القصد، وبالتالي وضوح المعنى المراد، ويرتبط وصول قصده إلى السامع بمدى الوعي الثقافي من لدنه؛ لأن المتلقين يختلفون ويتفاوتون في المستوى العقلي، والأداء اللغوي، والخبرة الثقافية^(٢٣).

فالتداولية تهتم بما يتعلّق بالمتكلم من قصدية؛ لأن المتكلم فيها يمثل ركناً أساسياً، إرادته عند إصداره اللفظ عنصر مهم في وضوح المعنى المقصود والهدف من الخطاب، فالتواصلية بين المتكلم والمخاطب يمثل قصد المتكلم جزءاً كبيراً منها، وهو ما يبحث عنه الطرف الآخر، ويسوق كل إمكانياته لفهمه^(٢٤).

يتضح ممّا تقدّم ذكره أن فكر الصبان قد كان مهتماً بشكل كبير بإرادة وقصد المتكلم، وربطه بالمخاطب ووضوح المعنى لديه عن طريق فهم القصدية، وهذا ما أكدت عليه التداولية في أهمية مقاصد المتكلم واهتمام المتلقي في فهم هذه القصدية؛ لكي يتضح المعنى المراد^(٢٥).

٤- الإشارات:

تشكل الإشارات جانباً مهماً من جوانب التداولية، وقد اهتمت الدراسات اللغوية العربية التراثية بها بشكل كبير.

بيّن الصبان في حديثه عن معنى ضمير الشأن حين وقوعه خبراً للمبتدأ، وأنه يدل على القصة والحديث في معناه وإحالاته الخارجية^(٢٦).

وضّح سيبويه فيما يحيله المضمّر من حديث ليس موجوداً في التركيب ظاهراً، قوله: "ومما يضمّر لأنه يفسره ما بعده ولا يكون في موضعه مظهر قول العرب: إنه كرامٌ قومك، وإنه ذاهبةٌ أمّك. فالهاء إضمارٌ الحديث الذي ذكرت بعد الهاء، كأنه في التقدير - وإن كان لا يتكلم به- قال: إن الأمر ذاهبة أمّك وفاعلة فلانة، فصار هذا الكلام كله خبراً للأمر، فكذلك ما بعده هذا في موضع خبره"^(٢٧).

وبيّن ابن السراج ما يحيل إليه الضمير (ضمير الشأن) من حديث أو قصة خارجية، بقوله: "فإن أضمرت في كان الأمر أو الحديث أو القصة وما أشبه ذلك وهو الذي يقول له: المجهول، كان ذلك المضمّر اسم كان وكانت هذه الجملة خبرها،..."^(٢٨).

وذكر ابن جني ضمير الشأن والقصة في قوله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ))^(٢٩)، وكذا في قوله تعالى: ((فَإِنهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ))^(٣٠)، وأن للهاء في (فإنها) ضمير الشأن والقصة، ورفض أن تكون الجملة بعد الضمير تفسيراً له؛ لأنه يؤدي إلى بقاء الضمير دون تفسير؛ ولأنه يلزم أن يكون للفعل الخارجي (القصة) ما لا دليل عليه، ممّا يؤدي إلى بطلان إضماره^(٣١). وممّا تقدّم ذكره يتبيّن أن الضمير يشير إلى أمر خارجي (قصة) أو (حديث)، أحال إليه الضمير (الشأن) أو (القصة).

أما التداولية فقد اهتمت كثيراً بالإشارات؛ لما لها من دور كبير في تحليل الكلام وتحقيق التواصل، وعلى رأسها الإشارات الشخصية من خمسة أنواع من الإشارات التداولية^(٣٢).

وضح محمود أحمد نحلة أهمية الإشارة في التداولية، وأشار إلى خمسة أنواع من الإشارات، هي: (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، والخطابية)، وبيّن أن الإشارات الشخصية تعد من أهم الإشارات؛ لوضوحها في الدلالات الكلامية، كضمانر الحاضر، والمخاطب، والغائب إذا أُحيلت على الخارج اللغوي، فيها يُعرف المتكلم من المخاطب، ويحدد سياقات الكلام^(٣٣).

وأظهر جواد ختام تعلّق الإشارات الشخصية، والمكانية، والزمانية بالتواصل التداولي للكلام، ويشترط في الإشارات التواضع، فالضمير (المتكلم) (أنا) يبقى مبهماً ما لم يوضّحه ويربطه السياق المعطى

لدى المتلقي، وكذا (الآن) الزماني، و(هنا) المكاني(٢)؛

وركز محمود عكاشة على ربط الإشارات (الشخصية، والزمانية، والمكانية) بعملية التواصل بين المتخاطبين، عن طريق فهم السياقات التي قيلت فيها، فمقاصد الخطاب تتعلّق كثيراً بهذه الإشارات؛ لأنها توضح المعنى المقصود وتوصله إلى المخاطب بشكل يبيّن لا لبس فيه، فالإشارات الشخصية (الضمائر) تفيد التوكيد والاختصار في اللفظ؛ لأنها تغني عن حضور المشار إليه في اللفظ، وكذا الزمانية والمكانية(٣)؛ يتبيّن ممّا تقدّم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره أهمية الإشارات (الشخصية) المتمثلة بضمير الشأن (للغائب) وأهميّة في عملية التواصل بين المتكلم والمخاطب، وأنه ما أكدت عليه التداولية الحديثة .

٥- الأفعال الكلامية:

تمثل الأفعال الكلامية مركزية ومحورية في كثير من قضايا التداولية، فالتأثير للمفوظ هو ما تبحث عنه التداولية(٤)؛

كان فكر الصبان يعي أهمية التراكيب النحوية المباشرة وغير المباشرة، فأسلوب التقديم والتأخير تترتب عليه المعاني، بقوله: ((ومن مواضع وجوب التقديم ما لو قرن المبتدأ بفاء الجزاء نحو: أما عندك فزيّد، أو كان تأخيره يخل بفهم المقصود نحو: لله درك فإنه لو أخر لم يفهم منه التعجب (...)) (٥)؛

ومن الأفعال غير المباشرة الاستفهام الخارج لأغراض بلاغية، قوله: ((والأكثر كونها للتقرير أي حمل المخاطب على الإقرار أي على الاعتراف بالحكم الذي يعرفه من إثبات كما في ((ألم نشرح لك صدرك)) (٦)؛ أو نفي كما في: ((أأنت قلت للناس اتخذوني وأميّ الهين من دون الله)) (٧)؛ (٨)؛

أشارت كتب البلاغة إلى الخبر والإنشاء، والكنائيات والاستعارات ن إذ تصب هذه في مفهوم الأقوال المباشرة وغير المباشرة، فابن سنان الخفاجي وضّح " أن الاستعارة في معناها هي وضع التراكيب على غير ما وضعت له والغرض توضيح المعنى المقصود، ففي قوله تعالى: ((واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)) (٩)؛ استعارة من النار للشيب شيئاً فشيئاً في الرأس" (١٠)؛

وهذا قول غير مباشر، أي لا يراد به المعنى اللفظي، بل المعنى الضمني للقول، يفهم من سياقات الكلام من لدن المتلقي.

وذكر الجرجاني في دلائل الإعجاز مفهوم الكناية وإرادة المتكلم، فعن طريقها يتم توضيح معنى من المعاني، فيتجاوز اللفظ ومعناه إلى معنى مضمّن له، وهو المراد والمقصود، محال إلى الخارج الوجودي،

يفهم من السياق الخارجي المتواضع عليه والمعروف اجتماعياً، مثال ذلك، قولك: (هو طويل النجاد)، أي: يريدون طويل القامة، وقولك: (كثير رماد القدر)، أي: كريم كثير القرى، فاللفظ الخاص المفسّر لم يذكر المقصود به، بل ذكر بلفظ ومعنى آخر مضمّن له، فإذا طال النجاد طالّت القامة، وإذا كثرت الكرم والقرى كثرت رماد القدر(١١)؛

فتبيّن من النص المذكور أنّاً أن الكناية تمثل الأقوال غير المباشرة، وتمثل معنى مضمّن مشار إليه ومومي إليه عن طريقها.

أما التداولية فقد اهتمت اهتماماً كبيراً بالأقوال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، والمعاني المضمّنة والمقصودة(١٢)؛

فركّزت التداولية بشكل كبير على الأقوال غير المباشرة والاستعارات، فتحليل القول الحرفي وما يراد منه يمثل مركز اهتمام التداولية، فالتعبير عن معاني ضمنية يهدف المتكلمون لها متجاوزين اللفظ الظاهر عن طريق التلميح، والسخرية، والاستعارة هو مغزى التداولية، فقولك: (هل تستطيع أن تتولني الملح)، استفهام لا يراد به الجواب، بل يراد به تمكين المتكلم من لدن المخاطب من الملح، وهو فعل لا قولي، حصل بشكل غير مباشر، وهذا ما وضّحه سورل، وهذا قول غير مباشر ومعنى ضمني يراد إيصاله(١٣)؛

ووضّح جواد ختام الأفعال الكلامية عند أوستن وسورل في التداولية، وكيف تحتل أهمية كبيرة فيها، فقد بيّن أوستن ان الأفعال الكلامية المفروضة نوعان: تقريرية وصفية، تخضع لمعيار الصدق والكذب، وأخرى ملفوظات إنجازية، ولها شروط معينة، وقد تكون إنجازية تقريرية أو غير تقريرية (مضمرة)، فقولك: (السماء تمطر)، فلها ظاهر وصفي، وآخر إنجازي، أي: أحذرك من أن السماء ستمطر، وهو قول غير مباشر مضمّر، وطور جون سورل هذه النظرية (الأفعال الكلامية) لاستاذة أوستن؛ لأنه أفاد مما وجّه من انتقادات لما جاء به أوستن، وأكد على الأفعال المباشرة وغير المباشرة(١٤)؛

ينضح ممّا تقدّم ذكره أن الصبان كان حاضرًا في فكره الأقوال المباشرة وغير المباشرة خاصة، متمثلة في الأقوال الإنشائية، وكذا عند العلماء في التراث العربي، وهذا ما أكدت عليه التداولية بشكل ممنهج ومنظم بالنسبة للأقوال الكلامية المباشرة وغير المباشرة.

المناهج الكمية أو النوعية لاستخلاص النتائج. تضمن هذه العملية العلمية تقديم حجج مدعومة بالأدلة، مما يؤدي إلى استنتاجات متوقعة.

٤. الأطر النظرية والتطبيقية

يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث. يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث. يهدف الإطار النظري إلى ربط البحث بالنظريات العلمية الراسخة، بينما يُركز الإطار التطبيقي على كيفية توظيف هذه النظريات في الواقع العملي. يعزز هذا النهج من التكامل بين الجوانب المفاهيمية والتطبيقية للبحث.

٥. الخاتمة

اهتم العلماء في التراث العربي اللغوي ببيان المعاني وكشفها للمتلقى من لدن المتكلم، وكل ما يتعلق بالعملية التواصلية بينهما من سياقات لغوية وغير لغوية (خارجية) كسياق المقام والسياق الاجتماعي وغيره، وبعدها جاءت به هذه الدراسة من مقاربة في الفكر لدى الصبان مع ما جاءت به التداولية الحديثة في بعض جوانبها التواصلية، خرجت الدراسة بنتائج، منها:

١- اهتم الصبان في فكره بالسياق الخارجي الذي يشكّل أهمية كبيرة في عملية كشف وإيصال المعنى بين المتكلم والمخاطب، وهذا يمثل مرتكزاً مهماً في عملية التواصل التداولي الحديث.

٢- المتكلم والمخاطب يمثلان طرفي العملية التواصلية في الخطاب، فقد ركز الصبان على بيان هذين الطرفين، وكل ما يتعلّق بهما من جانب، ومن جانب آخر بالمعنى، وهما يمثلان في التداولية طرفي العملية التواصلية، والتعاون في فهم المعاني.

٣- استحضّر الصبان مفهوم القصد لدى المتكلم وما له من دور مهم عند المتلقي (المخاطب)، وفي فهمه في الكشف عن المعنى المراد، وقد ركّزت التداولية على القصدية؛ لما لها من دور مهم في كشف المعاني المقصودة من لدن المتكلم إلى المخاطب.

٤- بيّن الصبان دور الإشارات كمفهوم مهم في بيان التواصل كضمير الشأن وما يحيله على الخارج من معنى، وهو ما جاءت به التداولية لبيان إحالة الإشارات على السياق الخارجي.

٥- وضح الصبان مفهوم الأفعال الكلامية عن طريق استحضاره للأقوال المضمرّة (غير المباشرة) للألفاظ، في باب الاستفهام الإنكاري والنفي، والتداولية قد بيّنت الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة ودورها في بيان المعنى.

٦. المراجع

* القرآن الكريم

١. الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، إدريس مقبول، ط ١، عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، وجمادى الثاني، عمان، الأردن، ٢٠٠٧ م.
٢. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦ هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٣. آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دط، دار المعرفة الجامعية، دم، ٢٠٠٢ م.
٤. التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، ط ٢، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠١٤ م.
٥. التداولية أصولها وأجهاتها، جواد ختام، ط ١، كنوز المعرفة، عمان، ٢٠١٦ م.
٦. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دط، دار الطليعة، بيروت، د.ت.
٧. التداولية من أوسنن إلى غوفمان، فيليب بلاشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط ١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٧ م.

١٦. شرح كتاب سيوييه، لأبي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي سيد علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٧. في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء، كريم حسين ناصح الخالدي، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٢ م.

١٨. كتاب دلالات الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ)، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاکر، ط٣، شركة القدس للنشر والتوزيع، مطبعة المدني المؤسسة السعودية في مصر، في مصر ودار المدني بجدة، ١٩٩٢ م.

١٩. الكتاب كتاب سيوييه، لأبي بشر عمر بن عثمان قنبر (ت ١٨٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤ م.

٢٠. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د ط، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ٢٠١٠ م.

٢١. النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، دراسة المفاهيم والأداة والمبادئ، محمود عكاشة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٣ م.

- الرسائل والأطاريح الجامعية:

- الأبعاد التداولية في مقامات الحريري، ماجستير، الطالب: النذير ضبعي، إشراف: د. فوزية دندوقة، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ٢٠١٤ م.

- السور المسبجات دراسة تداولية، ماجستير، محمد شمخي جبر، إشراف

٨. التفسير التداولي عند سيوييه للقضايا النحوية، فوزية عبدالله علي خر يشا، دط، مجلة كلية اللغة العربية - الزقازيق، ٢٠١٥.

٩. حاشية الصبان، لمحمد بن علي الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني لعلي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت ٩١٨ هـ) على ألفية بن مالك، إبراهيم شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨ م.

١٠. حواشي كتاب سيوييه، لأبي علي الفارسي وأبي القاسم الزمخشري وأبي عبد العزيز الغيوني، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العيوني، ط١، دار طيبة الخضراء، الرياض، ٢٠٢١ م.

١١. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق محمد علي النجار، ط١، المكتبة التوفيقية، د م، ٢٠١٥ م.

١٢. الخطابة والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي، منى فهمي محمد غيطاس، دط، الدراية ن القاهرة، ٢٠١٥ م.

١٣. ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، شرحه: عزة حسن، دط، دار الشرق العربي، بيروت لبنان - حلب سورية، ١٩٩٥ م.

١٤. سر الفصاحة، لأبي عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الحجاج محمد النجار، دط، المكتبة الأزهرية للتراث، د م ٢٠١٨ م.

١٥. شرح كتاب سيوييه، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ)، دراسة وتحقيق: شريف عبد الكريم النجار، تقديم عياد عبد الثيتي، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، ودار السلام، القاهرة - مصر، ٢٠٢١ م.

: حسن خميس الملح ، جامعة آل البيت
، ٢٠١٥ م .

ورقلة ، الجزائر ، الملتقى الوطني
الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة
اللغة والأدب ، ٢٦-٢٧ أكتوبر ٢٠١١

- البحوث :

- أبجديات في آليات التحليل التداولي
للنصوص التراثية ، أ. حنان فلاح ،
مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية
والتطبيقية / العدد الثاني ، جامعة مولود
معمر ، تيزي وزو .

- آليات تطبيق المنهج التداولي على
النص التراثي ، د. هاجر مدقن ، جامعة

- الفكر التداولي عند السهيلي (ت ٥٨١
هـ) ، دراسة لغوية ، د. فاطمة عبد الله
ناصر المازمي ، كلية التربية الأساسية

المستخلص باللغة الإنكليزية

Abstract:

The study aimed to clarify the frameworks of Al-Sabban's pragmatic thought by revealing his interest in the situational context, the speaker and their intentions, their relationship with the addressee, the principle of cooperation between them, the communication process between the axes of the communication process, and direct and indirect (implicit) speech acts. The study, entitled "Pragmatics in the Thought of Muhammad ibn Ali Al-Sabban (1206 AH)," in his commentary on Al-Ashmouni's commentary, relied on the descriptive and analytical approach. The study yielded results, including: Al-Sabban's emphasis on the importance of the external context in the communication process, the fact that the addressee and the speaker represent the two parties of the communication process, and that cooperation between them leads to its success. Clarity of intent on the part of the speaker leads to successful communication with the addressee. Indicative expressions play a major role in the clarity of meaning, such as the subject pronoun, which refers to external existence, and the impact of direct and indirect (implicit) speech acts on the communication process and clarity of meaning. This is what modern linguistic pragmatics has brought to the fore in most aspects. The study concluded after the introduction. Presentation of the research, including the conclusion, research results, footnotes, sources and references.

قائمة الهوامش:

^(١) ينظر: الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيويوه: ٢٧٦-٢٧٧، التفسير التداولي عند سيويوه للقضايا النحوية: ١٧١٦-١٧١٨.

- (2) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ١٨-١٩.
- (3) الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: ٢٦٤.
- (4) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٥٢-٥٣.
- (5) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ١٨.
- (6) النساء: ١٢٧.
- (7) ينظر: حاشية الصبان: ١٣٢/٢.
- (8) م.ن: ١٩٢/٣، وينظر: ١٩٩/٣.
- (9) كتاب سيبويه: ٢٥٧/١.
- (10) المقتضب: ٨١/٢.
- (11) ينظر: شرح السيرافي للكتاب: ١٥٥-١٥٦/٢.
- (12) شرح الرماني للكتاب: ٤٦٢/١.
- (13) التداولية من أوستن إلى غوفمان: ١٨.
- (14) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٥٥-٥٦.
- (15) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٣-١٤.
- (16) ينظر: في اللسانيات المعاصرة نقد وبناء: ٣٨٦-٣٨٧.
- (17) حاشية الصبان: ٣٠٧/١.
- (18) كتاب سيبويه: ٣٤٤-٣٤٥/٢.
- (19) المقتضب: ٧٩/٢.
- (20) هم للعجاج، لم أقف عليه في ديوانه، ينظر: كتاب سيبويه: ٣٤٧/٢، والمقتضب: ٣٨٩/٢.
- (21) حواشي كتاب سيبويه: ٧٠٩/٢.
- (22) شرح كتاب سيبويه للرماني: ١٥٠٠/٢.
- (23) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٨٥، التداوليات علم الاستعمال: ٤٥-٤٦.
- (24) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٩١.
- (25) حاشية الصبان: ٣٢٣/١.
- (26) سورة يوسف: ٨٢.
- (27) كتاب سيبويه: ٢١٢/١.
- (28) المقتضب: ٢١٥/٣.
- (29) الخصائص: ٤٠٢/٢.
- (30) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٩٦.
- (31) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٩.
- (32) الخطاب والتداولية نحو أداة إجرائية لتلقي النص الخطابي: ١٥٤-١٥٥.
- (33) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): ٣١-٣٢.
- (34) ينظر: حاشية الصبان: ٢٨٨-٢٨٩/١.
- (35) كتاب سيبويه: ١٧٦/٢.
- (36) الأصول في النحو: ٨٦/١.
- (37) سورة الإخلاص: ١.
- (38) سورة الحج: ٤٦.
- (39) ينظر: الخصائص: ١٧٤/١.
- (40) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٥-١٧.
- (41) ينظر: م.ن: ١٧-١٨.
- (42) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٧٦-٧٧.
- (43) ينظر: النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية): ٨٤-٨٥.
- (44) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: ٤٠.
- (45) حاشية الصبان: ٣١٣/١.
- (46) سورة الإنشراح: ١.
- (47) سورة المائدة: ١١٦.
- (48) حاشية الصبان: ١١/٤-١٢.
- (49) سورة مريم: ٤.
- (50) سر الفصاحة: ١٧٨.
- (51) ينظر: دلائل الإعجاز: ٦٦.
- (52) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٩٦-٩٧.
- (53) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان: ٦٨-٦٩.
- (54) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها: ٨٦-٩٧.

